

دنيا الوطن

طبوغرافيا سفر التكوين [14] في عسير بقلم: زياد هوش

تاريخ النشر : 16-01-2010

كمال الصليبي

عودة إلى "التوراة جاءت من جزيرة العرب"
أورشليم و"الهيكل" و"إحصاء داود" .. في عسير

THE ARABIA BIBLE

Revisited

ترجمة: صخر الحاج حسين

زياد منى

شركة قدمس للنشر والتوزيع

طبوغرافيا سفر التكوين [14] في عسير

قراءة متأنية

من بين القصص التي نتحدث عن البطارقة, أو الآباء الأوائل في التوراة, ينفرد الإصحاح [14] من سفر التكوين, وحتى يومنا هذا, في تصنيف خاص به.

فهو الإصحاح الوحيد الذي يربط مسيرة حياة إبراهيم مع: "الأحداث السياسية العالمية" لعصره.

على السطح, يبدو النص انه يتحدث عن "غزو أجنبي" للأقاليم القريبة من المكان الذي عاش فيه إبراهيم, قامت به قوات مشتركة "لأربعة ملوك", انطلقوا كل من مملكته في حملة تأديبية.

اعتدنا أن نسلم بأن الأقاليم التي تم غزوها, وهي :

سدوم /سدم/

وعموره /عمره/

وأدمة /أدمه/

وصبويم /صبيم/

وبالع /بلع/ التي تسمى أيضا صوغر /صعر/,

كانت تشكل بنتابوليس, أي خماسية, تحوي خمس مدن قديمة لوادي الأردن والبحر الميت في فلسطين, (حيث لم يوجد هناك أي من هذه الأسماء في الماضي) .

وأفيد أيضا بأن الغزاة كانوا حكام ممالك قوية, قدموا من بلاد ما بين النهرين وشمالى سوريا.

{حاول بعض الدراسين, تؤرقهم بعض التفاصيل التي وردت في الحكاية التوراتية عن الغزو, أن يزيلوا الغموض الذي أحاط بأسماء الملوك الأربعة, وبمملكة كل منهم, وأملوا أن يوضحوا التزامن الذي يؤسس لتاريخانية السرديات البطريكية.}

{أما آخرون, ولدى ملاحظتهم التباس أو ضالة الدليل الأركيولوجي ما بعد التوراتي فيما يتعلق بهذا "الغزو الأجنبي" المزعم لوادي الأردن في العصر البرونزي الوسيط (درجت العادة أن ينسب التاريخ إلى الحقبة البطريكية من التاريخ التوراتي) فقد تعاملوا مع سفر التكوين [14] بشك أكبر, ووصل بهم الأمر إلى إغفال تاريخية هذا الدليل تماما.}

رغم ذلك وعندما يقرأ المرء سفر التكوين [14] يؤخذ بمسحة من أصالة فيه وصدق. الملوك الغزاة الأربعة يتم تحديدهم بأسمائهم وأسماء أقاليمهم بالكامل, وكذلك أسماء شعوب وملوك الأقاليم التي قاموا بغزوهم.

كما أن الدافع وراء الغزو معروف أيضا: وهو عقاب خمسة ملوك من المناطق التي تم غزوها, والذين كانوا تُبْعاً لواحد من الغزاة (وليس لجميعهم), على عصيانهم, ويتم وصف الغزو بالتفاصيل, وتحديد موقع المعركة الحاسمة, إضافة إلى تصوير طبوغرافية المنطقة التي تم غزوها والتي تحتوي على وديان وعرة (أحد هذه الوديان تملؤه /بءروت حمر/ أو جحور) وجبال.

لا بد أن هذا الغزو بحد ذاته كما يروي سفر التكوين [14: 1-11], كان حدثا تاريخيا, مع انه لم يرق إلى أن يصبح في زمنه في مستوى الحدث العالمي. وليس بالضرورة أن تكون بلاد ما بين النهرين وسورية هي المكان الذي وقع فيه الغزو.

يعتقد الدكتور الصليبي أنه وبالاحتكام إلى أسماء الأمكنة الواردة, لا يمكن أن يكون مسرح الغزو إلا غربي جزيرة العرب.

يذكرنا الدكتور الصليبي بدراسات سابقة له في جغرافية التوراة, كان قد أكد فيها أن (سدوم التوراتية وعمورة وأدمة وصبوييم) لا يمكن أن تكون مدنا في الأردن والبحر الميت في فلسطين, بل هي بلدات قديمة للوديان الخصبة من الأراضي المنخفضة الساحلية في منطقة جيزان في غربي جزيرة العرب.

ويؤكد الدكتور الصليبي أن هناك صعوبة في تحديد "بالع" و"صوغر" بوصفهما اسمي مكان باللجوء إلى مصطلحات وادي الأردن, ما جعل ثلاثة دارسين يصرفون النظر عن الاسم الأول بوصفه لقبا يقصد به التحقير والازدراء كما انه يعطي معنى "مُدْمَر" بينما صنف الاسم الثاني على أنه "ملتبس".

بينما لا يزال كلا المكانين "بالع" و"صوغر" موجودين باسميهما التوراتيين اللذين لم يتغيرا في محيط

وادي نجران ذاته في غربي جزيرة العرب, مقابل تلال منطقة جيزان الساحلية.
الأول منهما باق هناك باسم "بالوع" والثاني باسم "صاغر".

مثل وديان منطقة جيزان, يُعد وادي نجران منطقة بالغة الخصوبة, وعادة تميل قبائل الجبال إلى السيطرة على شعوب الوديان, وفي هذه المنطقة, يبدو أن قبائل الجبال تسيدت سياسيا في حقبة تعود إلى الماضي البعيد في مناطق الطائف وزهران وغامد التي تقع في الحجاز الجنوبي, على المجتمعات الفلاحية التي تقطن الوديان الخصبة من منطقتي نجران وجيزان القريبتين من الحدود الحالية لليمن. وبات ملوك أو زعماء هذه المجتمعات الفلاحية تُبعا لملوك أو زعماء قبائل المنطقة الجبلية من الحجاز الجنوبي.

وحدث أن تمرد الفلاحون التُّبع ضد سادتهم القبليين, وتقدم أولئك السادة أو الملوك وكانوا أربعة, لقمع التمرد.

وعلى طول الطريق أغار الملوك على ثلاثة تجمعات للفلاحين في وديان الحجاز الجنوبي, وعندما ابتعدوا في الجنوب قاموا بهجمات على قبائل المناطق الجبلية لعسير وجيزان.

يقول الدكتور الصليبي أن تحليلا طبوغرافيا لسرديات سفر التكوين [14] في بيئة غربي جزيرة العرب, يؤكد هذا في كل التفاصيل تقريبا:

بحسب سفر التكوين فإن القادة الذين قاموا بالحملة التأديبية, كانوا ملوك أقاليم:

شنعار /شنعر/: وهي الشراعن (شرعن) في وادي كلخ من منطقة الطائف الجبلية

وألأسار /إلسر, عل سر/: وآل سيار (عل سير) في منطقة غامد الجبلية

وعيلام /إليم/: وجبل ألمع (إلمع) في منطقة زهران الجبلية

وجوييم /جويم/: جبل قيم في منطقة زهران الجبلية

انطلق كل زعيم من إقليمه, نزل الزعماء الغزاة أولا إلى وادي أضم عن طريق ممر جبل برقان جنوب الطائف.

وهناك في الوديان المجاورة أخضعوا:

الرفائيين /رفءيم/ (/رفءي/بصيغة المفرد) في عشتاروت قرنايم: ربما كان الرفائيون هم قبيلة يرفا المثبتة تاريخيا في غربي جزيرة العرب, أما المكان الذي تم إخضاعهم فيه, فكان قرية عشاريا /عشرت/ قرب ذي القرنين (قرنين) في محيط عميقة غرب وادي أضم. والزونيين /زوزيم/ مفردها /زوزي/ مشتقة من (زوز) في هام (هم): فهم بالتحديد شعب زيزاء, في وادي أضم, والذين هزموا ذات الهام (هم) في الجوار ذاته. والإيميين /يميم/ مفردها /يمي/ مشتقة من المفردة /ءيم/ في شوى قريتايم /شوه قريتييم/: كان ولا يزال وادي أضم موطنهم الأصلي, وهؤلاء هزموا في شوى قرياتييم, التي هي اليوم قرية (شوي) في وادي أضم أيضا, وبالقرب من "قارتان" التي وردت في الأدبيات الجغرافية العربية على أنها قرية في المنطقة ذاتها.

تاليا, استأنف الغزاة زحفهم باتجاه الجنوب إلى منطقة عسير الجبلية (/هر سكير/ قارن مع الاسم الحالي عسير) وهنا أخضع الحوريين /حري/ الذين من الواضح أنهم سكان "حراي" الحالية في منطقة رجال ألمع, ولاحقهم إلى فاران /ءيل فءرن/ والتي هي آل فروان (ءل فرون) في الطرف الجنوبي القصي من هذه المنطقة الجبلية, بين منطقتي الجيزان ونجران.

ومن فاران أو آل فروان عاد الغزاة أدراجهم ليصلوا إلى "المكان المقدس" /قدش/ المسمى /شبت/ والذي هو اليوم طفشة في منطقة ريث الجبلية من منطقة جيزان المحاذية للساحل, ومن هناك تقدموا باتجاه الجنوب الشرقي, حول سفوح سلسلة جبال جيزان, ليصلوا إلى /عين/ التي هي عين في جبل بني مالك.

ومن المرتفعات الإستراتيجية لسلسلة الجبال هذه, والتي تقع اليوم على طول الحدود الدولية بين اليمن والسعودية, نزل الغزاة إلى قلب منطقة جيزان لإخضاع العمالة (/عملقي/ منسوبة إلى /عملق/) وكان وطنهم الأم يقع في محيط معاليق في تلال العارضة التي تتاخم السهل الساحلي.

تاليا استداروا شرقا وعبروا الجبال في الداخل للوصول إلى حصون-تمار /حصصن تمر/: قرية الحزازين بجوار ابن ثامر في وادي نجران.

وهناك هزموا المستوطنين الأموريين المحليين (/أمري/ منسوبة إلى /عمر/) في موطنهم الأصلي، واحة أمار في منطقة اليمامة في أعماق الداخل.

لا بد وان التجمعات الفلاحية لمنطقتي نجران وجيزان، أصابهم زعر شديد من هذه القوة. وبدل أن ينتظروا هجوما عليهم "خرجوا" لمواجهة الغزاة في وادي السديم /عمق سديم/ (صيغة الجمع العبرية من /سد/) حيث هزموا وأجبروا على الفرار. ويسمى المكان الذي جرت فيه المعركة اليوم السدود (صيغة الجمع في العبرية لسد) ويقع في وادي حبونة ليس بعيدا إلى الشمال من وادي نجران.

يقول الدكتور الصليبي لأولئك الراغبين بالإقرار باحتمال خطأ الأفكار السائدة المتعلقة بالجغرافيا التوراتية المعمول بها، سيجدون أن الدليل الذي تقدمه في هذا البحث، والذي نؤول فيه سفر التكوين [14] على أنه سجل لصراعات الصحراء في غربي جزيرة العرب، وليس سجلا لغزو استعماري لفلسطين، سيجدونه كافيا.

عن أسماء الأمكنة التي وردت في نص سفر التكوين، بقيت جميعها. من دون أي تغيير في غربي جزيرة العرب، وليس لها اثر في فلسطين. وبين مناطق الحجاز الجنوبي وجيزان ونجران التي على حدود اليمن، بإمكان المرء أن يقتفي اثر حركة القوات الغازية خطوة إثر خطوة، ومنذ البداية حتى النهاية.

برأي الدكتور الصليبي، تبقى حقيقة ماثلة للعيون وهي أن سفر التكوين [14] عندما كتب في غربي جزيرة العرب، كشف عن لغزه واكتسب دلالة جديدة بوصفه أقدم سجل مترابط لتلك السياسات القبلية التي لونت تاريخ غربي جزيرة العرب ومناطق قبلية أخرى من الشرق الأدنى وفي كل العصور.

يقدم لنا الدكتور الصليبي ترجمة حرفية للعبرية الأصلية لهذا النص من سفر التكوين والذي هو برأيه شعر ملحمي وأغنية رقيقة تم فيها التلغني بحكاية صحراء غربي جزيرة العرب.

وهنا وقبل أن نقدم ترجمة الدكتور الصليبي للنص , لا بد لنا من الإشارة إلى أن هذه الترجمة تراعي ليس فقط تصويبا في جغرافية النص يجلي الكثير من غموضه في الترجمات التقليدية للغة العبرية المُحرَكة أو العبرية المسوريته .

بل الأهم أن الدكتور الصليبي ترجمها كعبرية شعرية غنائية كتبت شعرا ملحميا وفق قواعده العبرية وفي هذا ما يعطي النص بعده الحقيقي .

النص الغنائي المُعبر بأصالة عن تراث الصحراء بترجمته يقول:

في أيام أمرافل, ملك شنعار،
وأريوك, ملك الآسار،
وكدرلعومر ملك عيلام،
وتدعال, ملك جوبيم،

أنهم حاربوا بارع, ملك سدوم،
مع برشاع, ملك عمورة،
وشنآب ملك أدمة،
شمئير, ملك صبوييم،
وملك بالع, هي صوغر

وهؤلاء, جميعهم التقوا في وادي السديم:
إنه في غرب الرمل.
خدموا كدرلعومر, سنتين, عشر سنوات
وتمردوا ثلاث عشرة سنة

وبعد أربعة عشر عاما جاء كدرلعومر

والملوك الذين كانوا إلى جانبه:

فأخضعوا الرفائيين في عشتروت قرنايم،

والزوزيين في هام،

والإميين في شوى-قرياتيم،

والحوريين في جبلهم سكير

حتى الفاران, أعلى مدبر

والتفوا وأتوا إلى عين من شفت

إنه مكان مقدس

فأخضعوا كل أرض العمالة القاطنين في حصصون-تمار.

فخرج ملك سدوم

وملك أدمة

وملك الصبوييم

وملك بالع - هي صوغر

والتحموا معهم في معركة في وادي السديم

مع كدرلعومر, ملك عيلام

وتدعال ملك جوييم

وأمرافل ملك شنعار،

وأريوك ملك الآسار – أربعة ملوك مقابل خمسة.

وفي وادي السديم جحور اختباء كثيرة

فاستلقى ملكا سدوم وعمورة هناك

والبقية فروا إلى الجبال.

وأخذوا قطعان سدوم وعمورة جميعها،

وكل مؤنتهم من الأطعمة،

ومضوا.

16/1/2010

زياد هوش

..

جميع الحقوق محفوظة لدنيا الوطن © 2003 - 2016